

المسيحي
والإضطهاد

الدَّرْسُ الأوَّلُ
الاضطهادُ الدينيُّ - المنظورانِ التاريخيُّ
والعالميُّ

MODULE 1



الدّرسُ الأوّلُ

الاضطهادُ الدينيُّ – المنظورانِ التاريخيُّ والعالميُّ

الهدفُ التعلّميُّ

سيكونُ التلميذُ، في نهايةِ هذا الدرسِ، قد تعرّفَ بموضوعِ الاضطهادِ الدينيِّ. وسيفهمُ الاضطهادَ بصفتهِ انتهاكاً لأعرافِ الحريةِ الدينيةِ التي رسّخها القانونُ الدوليُّ. وسيكونُ مستعدّاً وجاهزاً لتمييزِ الاضطهادِ الدينيِّ الذي يمسُّ المجتمعاتِ المسيحيّةَ المعاصرةَ في الشرقِ الأوسطِ وشمالِ إفريقيا ضمنَ سياقٍ أوسعٍ، مدركاً الاضطهادَ الدينيَّ بصفتهِ ظاهرةَ ظلمٍ مزمنةٍ تتخذُ أشكالاً متعدّدةً من التعبيرِ عبرَ الزمنِ والجغرافيا والسيّاقاتِ الثقافيّةِ والسياسيّةِ وتؤثّرُ في مدىٍ واسعٍ من التقاليدِ الدينيّةِ.

قراءةٌ كتابيّةٌ تمهيديةٌ

أعمالُ الرسل 14

الإطارُ العامُّ للدّرسِ

مقدّمة: الحريةُ الدينيّةُ والاضطهادُ الدينيُّ

1. ما هي الحريةُ الدينيّةُ؟
2. مناح (اتجاهات) عالميّةٌ في الاضطهادِ الدينيِّ
أ. قيودُ الدولةِ على الحريةِ الدينيّةِ
ب. العداوات (الأعمالُ العدائيّةُ) الاجتماعيّةُ
3. ما الذي يسبّبُ الاضطهادَ؟
4. نظرةٌ كتابيّةٌ إلى أسبابِ الاضطهادِ
5. الاضطهادُ واقعٌ تاريخيُّ

خلاصة

حالةٌ دراسيّةٌ كتابيّةٌ: بولسُ في مدينةِ كورنثوس

قراءةٌ إضافيّةٌ

نظرةٌ كتابيّةٌ إلى أسبابِ الاضطهادِ

Ziya Meral, 'What are the Current Trends in Practice Regarding Article 18?' In: Article 18: An Orphaned Right – a Report of the All Party Parliamentary Group on International Religious Freedom, Westminster, 2013

الدّرس الأول

الاضطهاد الدينيّ – المنظوران التاريخي والعالمي

ليس مسيحيّو الشرق الأوسط وحدهم هم الذين يعانون اضطهاداً مبنياً على الدين. فالاضطهاد الدينيّ ظاهرة ظلم ضاربة في الزمن تتخذ أشكالاً متعدّدة من التعابير عبر الزمن والجغرافيا والسّياقات الثقافيّة والسياسيّة المتنوّعة، وتؤثّر في مدى واسع من التقاليد الدينيّة.

مقدمة: الحرية الدينيّة والاضطهاد الدينيّ

"لكلّ إنسان حقّ في حرية الفكر والوجدان والدين. ويشمل ذلك حرّيته في أن يدين بدين ما، وحرّيته في اعتناق أيّ دين أو معتقّد يختاره، وحرّيته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبّد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة".
البند الثامن عشر في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

في ما يتعلّق بالمسيحيّين في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، فإنّ الاضطهاد واقع يوميّ عمليّ، لا كلام مجرّد. فنحن نشهد، وغالباً ما نختبر بأنّ عيوننا، ما يحدث لنا بسبب إيماننا من حرمان من الحصول على وظائف ومن السّكن، وفقد الأصحاب، والعائلات. ونواجه في بعض الحالات ما هو أسوأ من ذلك، فنواجه ترهيباً من قوّة الأمن واعتقالاً، وإغلاقاً لكنائسنا، وحبساً، بل موتاً.

وإنه لأمرٌ مشجّع حقاً أن نرى المسيحيّين يتمسّكون بإيمانهم ويصمدون وسط هذه الخبرات الصّعبة. غير أن الصمود ليس أمراً كافياً. إذ يتوجّب علينا أن نفهم ما يحدث حولنا وسبب ذلك، لنكون شهوداً أفضل للمسيح ونرعى كنائسنا ونساعد إخوتنا المؤمنين.

ولهذا السبب، يتوجّب علينا أن نكون منفتحين على طرح أسئلة والتفكير في الأحداث التي نشهدها. لكن ينبغي أن ندرك أيضاً أنه ليس كلّ اضطهاد ينشأ بسبب الصليب، وأن هنالك أشياء يستطيع المسيحيّون أن يفعلوها لتجنّب المعاناة عندما لا تكون أمراً محتوماً.

سنرى في هذا الدرس كيف أن الاضطهاد الدينيّ واسع الانتشار، بل يصل إلى أنحاء العالم كلّها. ويعاني كثيرون ينتمون إلى أديان أخرى من الاضطهاد، شأنهم في ذلك شأننا نحن المسيحيّين. ولدى قيامنا بعملية مسح للوضع في العالم، وإلقاء نظرة عن قرب على خبرات الاضطهاد الأوسع، سيتضح لنا أنه توجد أسباب اجتماعيّة وسياسيّة كامنة وراء الاضطهاد، إضافة إلى أسباب روحيّة. وسنتتبّع جذورها في الكتاب المقدس والتاريخ معاً.

سنضع الواقع التاريخي والحالي للاضطهاد في سياق حقوق الإنسان، والتي توفّر شبكات أمان مهمّة لحماية الأفراد بسبب اعتقادهم الدينيّ. وسنبين أثناء دراستنا للمناحي أو الاتجاهات العالميّة مدى انتهاك حقوق الإنسان وإساءة تطبيقها في أنحاء العالم كلّها. بالرغم من ذلك تظلّ حقوق الإنسان من أقوى الأدوات التي يمكننا أن نستخدمها لنحتكم إليها أمام حكوماتنا والمنظمات الدوليّة ونطالب بمعاملة أفضل للمسيحيّين.

1. ما هي الحرية الدينية

التزمت معظم البلدان بحقوق حرية الدين والمعتقدات.

غالباً ما تُستخدم وثائق المطالبة بحقوق الإنسان في صيغة استعطف وتوضع بلغة متساهلة. لكنّها في نهاية المطاف أحكام قانونية تمّ وضعها بعد الأحداث الفظيعة في أحداث الحرب العالمية الثانية.

كانت الرؤية وراء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (UDHR) هي الرغبة في ضمان أساس متفق عليه عالمياً لحماية البشر. وقد وقّعت البلدان كلّها المشتركة في عضوية الأمم المتحدة على ذلك الإعلان. ويقدم هذا الإعلان العالمي مبادئ تحدّد نواحي الحياة البشرية التي تحتاج إلى حماية وتطمح إلى تحقيق ذلك. ثمّ تؤخذ هذه إلى مرحلة أبعد لتتحوّل إلى قانون حسب المواثيق الدولية.

والمواثيق الدولية، على خلاف الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وثائق ملزمة قانونياً. فعندما يوقّع بلدٌ عليها، يصبح تحت إلزام قانوني بتحقيق أحكام تلك المواثيق. ويمثّل الميثاق (العهد)¹ الدوليّ حول الحقوق المدنية والسياسية (ICCPR) أهم ميثاقاً يسهم في حماية الحرية الدينية. وقد وقّع معظم البلدان في العالم على هذا الميثاق.

يجعل البند الثامن عشر من الميثاق الدوليّ حول الحقوق المدنية والسياسية ICCPR الحفاظ على الحماية الدينية مسؤولية ملزمة، وهو بند بُني على البند الموجود في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان UDHR.

يقول البند الثامن عشر من الميثاق الدوليّ حول الحقوق المدنية والسياسية ICCPR:

1. لكل إنسان الحق في حرية الفكر والوجدان والدين. ويشمل ذلك حريته في أن يدين بدين ما، وحرّيته في اعتناق أي دين أو معتقد يختاره، وحرّيته في إظهار دينه بالتعبّد واقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة.

2. لا يجوزُ تعريض أحدٍ لإكراهٍ من شأنه أن يخلّ بحريّته في أن يدينَ بدينٍ ما، أو بحريّته في اعتناق أي دين أو معتقدٍ يختاره

3. لا يجوزُ إخضاعُ حرية الإنسان في إظهار دينه أو معتقده، إلّا للقيود التي يفرضها القانون، والتي تكونُ ضروريةً لحماية السلامة العامة أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة أو حقوق الآخرين وحرّياتهم الأساسية.

4. تتعهدُ الدُولُ الأطرافُ في هذا العهد باحترام حرية الآباء، أو الأوصياء عند وجودهم، في تأمين تربية أولادهم دينياً وخلقياً وفقاً لقناعاتهم الخاصة.

1 الترجمة الرسمية من الامم المتحدة تأتي "العهد" ويرجى استخدامها لاغراض البحث. كلمة "الميثاق" استخدمت للتسهيل.

تبيّن الفقرة الأولى من هذا البند مدى أهمية المعتقدات الدينية للبشر. إذ تجعلنا هذه المعتقدات الدينية - سوياً مع قدرتنا على أن نفكر ونشكّل وجهات نظرنا تجاه العالم والحياة وفقها - ما نحن عليه، وتحدّد هويتنا، وتؤثّر في كلّ شيء نفعله. ولهذا، فإنّ كلّ واحدٍ حرّ في أن يفكر ويؤمن ويحيا حسب معتقداته. ويمكن أن تكون هذه المعتقدات دينية، أو غير دينية، أو حتى إلحادية.

ولهذا يوضح البند الثامن عشر أنه ينبغي أن يكون البشر أحراراً في أن يتحوّلوا إلى ديانات أخرى أو أن يقرّروا أن يؤمنوا بشيء آخر مختلف عما تعتقده مجتمعاتهم. وأمّا الفقرة الثانية من البند فتثير قضية مهمّة، ألا وهي الإكراه. ينبغي أن يحسّ الأفراد بأنهم أحرار، لا أن يُجبروا بالتهديدات والضغط على منعهم من تغيير دينهم.

تقول الفقرة الأولى من الميثاق أيضاً إنه ينبغي أن يكون كلّ واحدٍ حرّاً في إظهار تلك المعتقدات وأن تكون له الحرية في الانضمام إلى مجتمعات وأديان تشارك تلك المعتقدات. وهكذا، فإنّ الحرية الدينية لا تشمل ما نؤمن به فحسب، بل التعبير عما نؤمن به أيضاً، سواء أكان ذلك في العبادة أم في الكرامة بإيماننا وتعليمه. وينبغي أن يكون البشر أحراراً في فتح مراكز دينية أو حضور أية كنيسة أو جامع أو معبد يختارونه.

غير أن الفقرة الثالثة من البند تحدّد قيوداً على تلك الفقرة. فهي تقول إن الحقوق سالفة الذكر يمكن في بعض الحالات أن تقيّد بحدود. وغالباً ما تشير الحكومات إلى هذا البند كذريعة لكبح الحرية الدينية. غير أنّ الميثاق الدوليّ حول الحقوق المدنية والسياسية أشملها ووثائق الأمم المتحدة اللاحقة التي تفسّر تلك الظروف المذكورة ككفود، توضح أنه لا يجب أن تُمنع أو تعاق الحرية في الاعتقاد والعيش وفقاً لذلك، وتغيير الدين إطلاقاً، ولا حتى أثناء الحرب. وما يسمح به القانون الدوليّ هو محدوديات أو قيود مؤقتة على التعبيرات الجهرية للدين. فعلى سبيل المثال يمكن للحكومة في ظروف اجتماعية حادة الشدة أن تمنع كنيسة ما من الاجتماع إذا أمكن إثبات أنّ هذا الإجراء حيويّ جداً لسلامة المجتمع. غير أن إجراء كهذا ينبغي أن يكون لفترة محدودة ولا يمكن استخدامه ذريعة لمنع المسيحيين من اتباع المسيح بحرية، والصلاة، ومشاركة إيمانهم.

وفي واقع الأمر، فإنه حسب هذا البند، فإنه ليس المؤمنون وحدهم، بل أطفالهم أيضاً يتمتعون بالحرّيات نفسها. ولهذا فإنّ الحكومات ملزمة بضمان تعليم الأطفال ديانة والديهم، من دون ممارسة أيّ ضغطٍ لكي يؤمنوا بشيء خلاف ذلك، وحضور الأنشطة الدينية لوالديهم بحرية.

هذه الجوانب الحيوية من الحرية الدينية - ما نعتقده وكيف نعيش وفقاً لذلك، مضمونة كحقوق مطلقة ينبغي لحكوماتنا أن تدعمها. فقد تعهّدت بالقيام بتلك المسؤولية بتوقيعها على ICCPR. وفي واقع الأمر، وقع معظم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا على هذا الميثاق، ولهذا وعدت تلك البلدان بالالتزام به.

ومن بين البلدان التي وقّعت على ذلك الميثاق: الجزائر، البحرين، مصر، إيران، الأردن، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، السودان، سورية، تونس، تركيا واليمن. ولهذا، لا يجب أن تتناقض القوانين والممارسات في هذه البلدان الالتزام القانوني وفق القانون الدوليّ.

غير أننا نعرف ونعاين أنّ بلداناً كثيرة من تلك التي وقّعت على المعاهدات لا تفي بالتزاماتها. وهكذا غالباً ما تواجه معايير حقوق الإنسان تحديات كبيرة في تنفيذها، وضمان أن يقع تحت طائلة المساءلة

القانونية كل من ينتهك هذه القوانين يظل غير مؤكد. ولهذا تواصل منظمات حقوق الإنسان تطوير حملات للتنبيه والتحذير بهدف إجبار البلدان على الامتثال للقانون الدولي.

أسئلة للمراجعة والنقاش

اذكر الحقوق الأساسية الأربعة التي ينص عليها البند الثامن عشر من UDHR؟ لماذا وقعت بعض البلدان على ميثاق UDHR، لكنها امتنعت عن التوقيع على معاهدة ICCPR، في رأيك؟ هل تحس بأن حكومتك ملتزمة بإخلاص بالسماح للأطفال بأن ينشأوا حسب معتقدات والديهم؟ اذكر بعض الصعوبات الموجودة، وناقشها مع مجموعتك. المناحي (التوجهات) العالمية حول الاضطهاد الديني.

غير أن معظم الأشخاص يعيشون في بلدان لا تحترم فيها حقوق الخاصة بحرية الدين.

من المؤسف أنه، حتى مع وجود أساس قانوني قوي لحماية حرية الدين والاعتقاد، إلا أن إنكارها على المواطنين يمثل واحداً من الانتهاكات الأكثر شيوعاً لحقوق الإنسان في العالم اليوم.

وحسب المسح السنوي للقيود الدينية الذي أجراه منتدى بيو حول الدين والحياة العامة Pew Forum on Religion and Public Life، فإن 75% من سكان العالم يعيشون في بلدان حيث يواجهون قيوداً وتفرقة من الحكومات والمجتمعات على أساس الدين.

ويسلط هذا الوضع ضوءاً على صورة معقدة، ويبين حقيقة محزنة تتمثل في أن المسيحيين، والمسلمين، واليهود، ومعتنقي الأديان الأخرى، أو اللادينيين يواجهون معاناة خطيرة. فكما يبين هذا الرسم البياني في ما يلي، فإن المسيحيين والمسلمين هم المجموعتان البشريتان الأكثر تعرضاً للاضطهاد بشكل واسع في أنحاء العالم جميعها.

يتخذ الاضطهاد الديني شكلين مختلفين لكن مترابطين، وهما اضطهاد الدولة والعداوة الاجتماعية.

ويتضمن اضطهاد الدولة سياسات موجهة وقوانين وممارسات لمسؤولي الحكومة، في حين أن العداوة الاجتماعية تتضمن أعمالاً من أفراد ليست لديهم صفة رسمية، إضافة إلى مواقف العامة تجاه الأقليات الدينية.

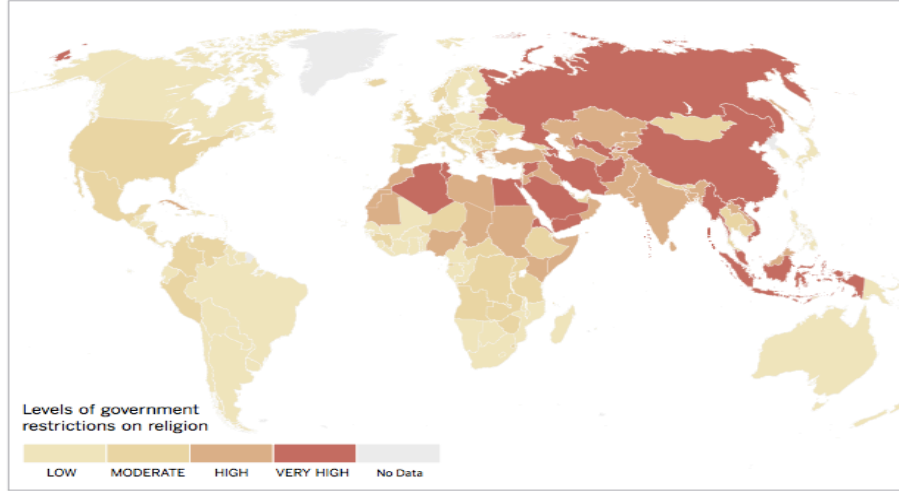
هذا النهج التحليلي لنوعين مختلفين من الاضطهاد أمر مهم لنا لنبدأ فهم كيفية حصول الاضطهاد وسببه. فما لم ندرك الآليات السياسية والاجتماعية هذه، فلن نشكل فهماً صحيحاً ونتبنى استجابةً مسيحية.

أ. قيود الدولة على الحرية الدينية

كما يمكننا أن نرى في الخارطة السابقة، تختلف القيود الدينية في العالم حسب المناطق. ففي حين نرى في بلدان أمريكا اللاتينية مستويات منخفضة من تدخل الدولة في الدين، فإننا نرى في الشرق الأوسط وشمال

Government Restrictions Around the World

Level of government restrictions in each country as of mid-2010



Pew Research Center's Forum on Religion & Public Life • Rising Tide of Restrictions on Religion, September 2012

إفريقيا مستويات عالية جداً من قيود الدولة والاضطهاد. وبما أن المناطق التي تشهد مستويات عالية وعالية جداً من الاضطهاد تشمل أكبر بلدان العالم، فإن 75% من سكان العالم يعيشون تحت مستويات متباينة من الظلم والقمع.

وفي حين أن لكل بلد سياقه الخاص، إلا أن هنالك مناحي أو اتجاهات منتشرة معينة نشهدها.

تحظر تسع وثلاثون حكومة في العالم بشكل رسمي مجموعات دينية معينة وأنشطتها. ويؤثر مثل هذه السياسات في المسيحيين وغيرهم، على حد سواء. مثال على ذلك، يعاني المسلمون البهائيون واتباع الطريقة الاحمدية أشد المعاناة. ففي إيران، حُظر الدين البهائي، وقُتل ما يزيد عن مئتي بهائي منذ العام 1979، وحُرِّم آلاف منهم من التعليم الجامعي والوظائف. ومن المحظور قانونياً هناك أن يجتمع البهائيون ويعلموا إيمانهم. ويصل عددهم في إيران حوالي 300.000 شخص، وقادتهم الوطنيون كلهم في السجن حالياً. ويواجه المسلمون الأحمديون المصير نفسه الذي يلاقيه البهائيون، حيث يُنظر إليهم بصفتهم هرطقة عبر العالم الإسلامي كله. وهم محظورون رسمياً في بلدان مختلفة مثل باكستان وأندونيسيا. ويتعرضون لتهريب الشرطة، والهجمات من على منابر الجوامع، ويُحرمون من العدالة والحماية والتعليم وحق العبادة والإيمان بفهمهم (الخاص بهم) للقرآن. ويوجد ما لا يقل عن ثلاثة ملايين أحمدي في باكستان.

Countries with Very High Government Restrictions on Religion

Scores of 6.6 or higher on the 10-point Government Restrictions Index

baseline year, ending MID-2007	latest year, ending MID-2010
Saudi Arabia	Egypt
Iran	Indonesia
Burma (Myanmar)	Maldives
China	Saudi Arabia
Uzbekistan	Afghanistan
Brunei	Iran
Egypt	Uzbekistan
Eritrea	Tunisia
Turkey	Eritrea
Vietnam	China
	Syria
	Burma (Myanmar)
	Russia
	Vietnam
	Yemen
	Azerbaijan
	Algeria
	Belarus

Gray text indicates a country that had very high government restrictions in the year ending in mid-2007 but not in the year ending in mid-2010. Bold indicates a country that had very high government restrictions in the year ending in mid-2010 but not in the year ending in mid-2007.

Pew Research Center's Forum on Religion & Public Life
Rising Tide of Restrictions on Religion, September 2012

يذكر البند الثامن عشر من الإعلان العالمي للحقوق الإنساني UDHR إن لكل إنسان الحق في "حرية تغيير دينه أو معتقده." وهو حق لا يمكن إنكاره حتى في الحرب أو حتى في أسوأ الظروف حيث يمكن للحكومات أن توقف أنشطة اجتماعية معينة بسبب الطوارئ. غير أنه توجد في 39 بلداً قوانين وأديان تمنع الأفراد من اختيار الإيمان بدين آخر أو عدم اتباع أي دين على الإطلاق، ويتعرضون للعقاب على ذلك.

إن تغيير العقيدة (التحول الديني) مشكلة عبر العالم كله. فعلى سبيل المثال، توجد سبع ولايات فيدرالية في الهند تمنع الهندوس من التحول إلى أديان أخرى. وفي خمس ولايات هندية – أورسا، ومدايا براديش، وتشهاتسجاره، وهيماتشال براديش، وجوجارات، تطبق هذه القوانين بشكل دائم. وتؤثر هذه القوانين على نحو خاص، على الهندوس من طبقة المنبوذين (أدنى طبقة من طبقات المجتمع الخمس) الذين يطلق عليهم دالتس، الذين يغيرون عقيدتهم إلى الإسلام أو البوذية أو المسيحية. وغالباً ما يهاجم رجال الدين المسيحيون والمسلمون والبوذيون وأفراد آخرين بذريعة "تحويل" الهندوس، ويتعرض هؤلاء المتحولون إلى ظروف قاسية. وتجرى محاولات لسن تشريع مماثل وتفعيله في سريلانكا التي تدين أغليبتها بالبوذية، بهدف إيقاف تغيير العقيدة.

وفي أنحاء البلدان جميعها التي يمثل فيها المسلمون أغلبية، يجتذب تحول المسلم إلى دين آخر ردود فعل هائلة لدى الدولة. ولا يقتصر الاضطهاد على التحول إلى دين آخر. إذ يؤدي اعتناق الفكر الإلحادي إلى اضطهاد أيضاً. ومن أمثلة ذلك أنه حكم على ألكزاندر أن الأندونيسي بالسجن مدة سنتين ونصف السنة في العام 2012 بدعوى التجديف والإعلان عن نفسه أنه ملحد، بعد أن رُصدت تعليقاته على صفحة الملحد الأندونيسي على روابط الشبكات الاجتماعية على الإنترنت.

توصلت الأبحاث التي أجرتها منتديات بيو Pew Forums إلى أن الحكومات في 37 بلداً تمنع العبادة أو الممارسات الدينية لمجموعة دينية كسياسة عامة، وأن 47 بلداً تمنع حرية العبادة في حالات كثيرة. وفي واحد وثمانين بلداً، تستخدم عمليات التسجيل، التي يُشترط على المجموعات الدينية أن يمرروا بها، للتفرقة ضد بعض المجموعات الدينية، وقد أثر هذا سلباً في ثمانية عشر بلداً في قدرة المجموعات الدينية كلها على العمل بحرية. فعلى سبيل المثال، يُحرم المسلمون من حق العبادة في المساجد المفتوحة في الصين وروسيا وعبر آسيا الوسطى وأوروبا. وما زال لا يوجد حتى يومنا هذا جامع واحد في أثينا، عاصمة اليونان، حيث يسكن 300.000 مسلم فيها.

تُستخدم متطلبات التسجيل في إعاقة اجتماعات الخدمة. فعلى سبيل المثال، يحتاج المرء في كازاخستان إلى وجود ما لا يقل عن خمسين عضواً بالغاً لتسجيل كنيسة أو جامع والحصول على نشر مواد دينية. وفي الممارسة العملية، يتم رفض التسجيل، أو يؤخّر. وحتى إذا صدرت موافقة على التسجيل، تُستخدم قوانين لتهريب الأعضاء واعتقالهم. وتوجد قوانين مماثلة في أوزباكستان وأذربيجان وقيرغيزستان وروسيا البيضاء. ويتعرض المسلمون والمسيحيون وشهود يهوه بانتظام للاعتقال والتغريم على امتلاكهم كتباً دينية أو إقامة اجتماعات للصلاة والدرس. ونحن نجد مشكلة مشابهة عبر الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حيث يُحرّم المسيحيون من حق بناء كنائس أو إصلاحها أو اللقاء من أجل الصلاة ودرس الكتاب المقدس بسبب القوانين البيروقراطية.

ولا تُسمح لبعض الجماعات الدينية في أربعين بلداً بالتمتع بحقوقهم في مشاركة إيمانهم مع آخرين. و في ستة وعشرين بلداً محظور على كل المجموعات الدينية القيام بذلك.

وبالرغم من تمتع الجماعات الدينية في الحق بالكراسة العلنية وإعلان إيمانها، تُحدّ الحكومات في 86 بلداً من المؤلفات الأدبية والبث (الإذاعي والتلفزيوني). ويمكن أن تكون العقوبات شديدة جداً. فقد حُكم على مسلم من الأويغور في الصين في العام 2012 بالسجن مدة عشر سنوات لامتلاكهم مواد إسلامية. وغالباً ما يُعتقل المسيحيون عبر أنحاء آسيا الوسطى والشرق الأوسط بسبب امتلاكهم الكتاب المقدس.

وما هو أكثر مدعاةً إلى القلق أنه توجد زيادة في عدد الدول التي تستخدم التحرش والمضايقة والتهريب والإيذاء الجسدي ضد المجموعات الدينية. فقد سجّل منتدى بيو تحرّشاً وتهريباً واسع الانتشار ضد أقليات دينية على أيدي حكومات في 86 بلداً. ومن بين هذه البلدان، توجد تقارير واضحة في 51 بلداً في العالم تفصح العنف الجسدي الذي تقوم به الحكومات ضد الأقليات الدينية. ويتضمن استخدام الحكومات للعنف غير المشروع وقوع أضرار في الممتلكات في 108 بلدان، وعمليات احتجاز وخطف في 79 بلد، وتشريداً في 46 بلداً، والقتل في 23 بلداً. فعلى سبيل المثال، يواجه المسلمون والمسيحيون مستويات غير مسبقة من العنف، ويُطردون من قراهم إلى مخيمات للاجئين في بلدات قريبة من الحدود، وقد تعرّض آلاف للقتل والسجن، وأجبر مئات الآلاف على الهروب على أيدي البوذيين.

إن قضايا القيود الحكومية على المجموعات الدينية موجودة أيضاً في شعوب غربية متطورة. فقد لاحظ منتدى بيو أنه يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية زيادة في عدد الحوادث التي واجهت فيها بعض المجموعات الدينية قيوداً على قدرتها على ممارسة إيمانها. وشمل هذا حوادث مُنع فيها أفراد من ارتداء ملابس دينية أو رموز معينة، بما في ذلك اللحي، وتعرضوا في بعض الأطر القضائية إلى السجن أو الوضع في إصلاحيات أو مرافق إصلاحية أخرى، وقد واجهت جماعات دينية معينة في الولايات المتحدة صعوبات في الحصول على تصاريح لبناء بيوت عبادة أو توسيعها، أو مدارس دينية أو معاهد دينية أخرى.

ب. العداوات (الأعمال العدائية) الاجتماعية

نحن نشهدُ على نحوٍ متنامٍ أنه ليست الحكومات وحدها هي التي تضطهدُ المجتمعات الدينية أو تفرضُ قيوداً على حياتها وممارساتها. إذ نرى زيادةً في المنحى المتعلق بالضغط والاضطهاد من المجتمعات على الأقليات الدينية في أنحاء العالم كله.

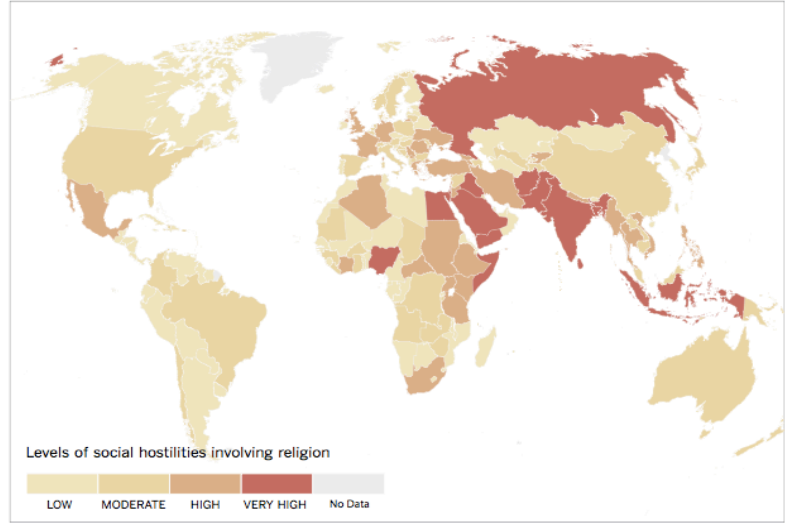
فإذا قارنت خارطة الأعمال العدائية الاجتماعية أعلاه مع خارطة قيود الدولة في بداية هذه الجلسة، ستري أن بعض البلدان التي تسجل مستويات "منخفضة" من القيود ضد الدين، تحتل مرتبةً عاليةً في الأعمال العدائية الاجتماعية. وهذا أمرٌ أكثر

وضوحاً بشكلٍ مرئيٍّ في أوروبا حيث يعكس القانون والممارسات الحكومية تمسكاً عالياً بحقوق الإنسان، لكن زيادة الاعتداءات على المسلمين واليهود عبر القارة الأوروبية كلها على أيدي يمينيين متطرفين جداً تفرغ أجراس الخطر. وقد أظهر تقريرٌ صدر عن مركز لدراسة يهود أوروبا المعاصرين أنه حدث 668 هجوماً في 34 بلداً ضد اليهود وكُنُسهم ومقابرهم العام 2012 بالمقارنة مع 526 هجوماً في العام 2011.

وتُظهرُ خبراتُ المسيحيين نمطاً معقداً أيضاً. فعلى سبيل المثال، في حين أن المسيحيين في بعض الدول يواجهون مستوى عالياً من القيود، فإنهم لا يواجهون أعمالاً عدائية اجتماعية، لكنهم يواجهون في بلدان أخرى حيث تضعفُ قيود الدولة أعمالاً عدائية اجتماعية. فعلى سبيل المثال، يواجه المسيحيون في إيران مستوى كاملاً من الحرمان من حقوقهم على أيدي النظام، وقد تمَّ اعتقال ما يزيد عن 200 شخص واحتجازهم منذ العام 2011. غير أنه لا يوجد تقريباً أية حادثة هجوم مؤخراً على الكنائس أو المسيحيين في إيران على أيدي الغوغاء أو عناصر غير حكومية. وبالمفارقة، شهدت تركيا إصلاحاتٍ عظيمة في الحرية الدينية وتحسيناً على حقوق المسيحيين. فلم تعد الحكومة التركية تعتقل أو ترهب المسيحيين. غير أنه حدثت هجمات قاتلة على المسيحيين والكنائس والمقابر المسيحية في السنوات العشر الماضية، وما زالت النظرة الاجتماعية المعادية للمسيحيين عالية.

Social Hostilities Around the World

Level of social hostilities in each country as of mid-2010



Pew Research Center's Forum on Religion & Public Life • Rising Tide of Restrictions on Religion, September 2012

ومن المؤسف أن تقريرَ منتدى بيو في العام 2012 حول القيود الدينية لاحظ أنه وقعت جرائم وأعمال قتل وعنف مدفوعةً بالبعوض والتحامل الدينيين في 146 بلداً. وشمل هذا في 135 بلداً تحرشاً وترهيباً. وقد حدثت في 83 بلداً حالات من تدمير الممتلكات، وفي 19 بلداً حالات اختطاف، وفي 22 بلداً حالات تشريد، وفي 82 بلداً هجمات جسيمة، وفي 38 بلداً حالات قتل، وفي 59 بلداً حدثت هجمات على أفراد أو إجلاؤهم من بيوتهم بسبب أنشطتهم الدينية التي عُدَّت مُهينةً للأغلبية. ويقول منتدى بيو إنه في 51 بلداً كانت هناك حالات لم تتدخل الحكومة فيها، متعلقة بالاضطهاد الاجتماعي والتعرض للمجموعات الدينية.

فعلى سبيل المثال، غالباً ما يُستهدف المسلمون الشيعة ويتعرضون إلى القتل في باكستان. وفي شهر آذار (مارس) من العام 2013 وحده، أسفر هجوم بقنابل على مسلمين شيعية عن قتل 45 شخصاً. وفي شهر شباط (فبراير)، أسفر هجوم على الشيعة في مدينة كويتا عن قتل 89 شخصاً. وقد سبقه هجوم في شهر كانون الثاني (يناير) أسفر عن قتل 90 شخصاً.

ويواجه المسيحيون مستويات غير مسبقة من العنف. وتقول منظمة "الأبواب المفتوحة الإنجيلية" إنه "بين تشرين الثاني من العام 2011 وتشرين الأول من العام 2012 سجلنا 1.201 حالة قتل للمسيحيين في أنحاء العالم كله (أي بمعدل 100 حالة قتل شهرياً) وقعت 791 حالة منها في نيجيريا، جاعلاً إيّاها أكثر بلدٍ خطراً يعيش المسيحيون فيه بلا جدل، مع وقوع مذابح سافرة في أماكن مثل جوس وأبوجا وكادونا وبوتشي".

وفي إسرائيل التي تحتل مرتبة عالية في مؤشر منتدى بيو، فإنّ حقوق المواطنين الإسرائيليين بشكل عام موضع احترام، لكنّ الفلسطينيين وبعض المسيحيين يواجهون قيوداً تتعلق بوضعهم القانوني. وقد قام المتطرفون بتنفيذ أعمال تخريب متعمد وكتابات معادية على جدران الكنائس والأديرة. والسلطات الإسرائيلية بطيئة في الاستجابة واعتقال الجناة. ويواجه أولئك المنخرطون في أنشطة يُنظر إليها على أنها محاولة تبشير يهود بدين آخر، مواقف اجتماعية عدائية. وتأتي هذه العداوة على نحو خاص من المنظمات الدينية اليهودية مثل ياد لعائشيم وليف لعائشيم، مع أنه قامت السلطات بترحيل بعض الأجانب بسبب مثل هذه الأنشطة. وتلاحظ دراسة منتدى بيو وجود زيادة أحداث العداوات الاجتماعية في الولايات المتحدة بناءً على الدين، بما في ذلك معارضة لإنشاء جوامع، وشكاوى من التفرقة في مواقع العمل على أساس ديني.

Countries with Very High Social Hostilities Involving Religion

Scores of 7.2 or higher on the 10-point Social Hostilities Index

baseline year, ending MID-2007	latest year, ending MID-2010
Iraq	Pakistan
Pakistan	India
India	Iraq
Afghanistan	Sri Lanka
Bangladesh	Bangladesh
Indonesia	Somalia
Israel	Israel
Sri Lanka	Nigeria
Somalia	Yemen
Saudi Arabia	Afghanistan
	Palestinian territories
	Egypt
	Russia
	Saudi Arabia
	Indonesia

Bold indicates a country that had very high social hostilities in the year ending in mid-2010 but not in the year ending in mid-2007.

Pew Research Center's Forum on Religion & Public Life
Rising Tide of Restrictions on Religion, September 2012

ورأينا زيادةً حادةً في مثل هذه الحوادث العنيفة والتوترات الاجتماعية عبر الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. فقد تعرّض مسيحيون وصوفيون وبهائيون ومجموعات واسعة إلى العنف مع بدء حدوث تغيير على الأنظمة السياسية عبر المنطقة.

أسئلة للمراجعة والمناقشة

ما الفرق بين القيود الحكومية والأعمال العدائية الاجتماعية ضد الحرية؟ اشرح إجابتك باختصار بكلماتك الخاصة.

أيّة إجراءات تتخذها الحكومات عادةً لتستأصل مجموعة معيّنة؟ أيّة أسباب يبدو أنها تدفعها إلى ذلك؟ اشرح كيف تستخدم الحكومة قوانين التسجيل لتقييد النشاط الديني. هل تعرضت شخصياً، أو مجتمعك المحلي، إلى أعمال عدائية اجتماعية هدفت إلى كبح حقوقك (حقوقكم) الدينية؟ أجب في فقرة واحدة شارحاً الظروف التي حدث فيها ذلك، وشارك الحصة مع المجموعة باختصار.

3. لماذا يحدث الاضطهاد؟

إن الأسباب الدافعة إلى الاضطهاد كثيرة، وقد تختلف من بلد إلى آخر.

لا تبيّن القيود الواسعة التي تفرضها الدول وأعمال العداء الاجتماعية حول العالم أنه ما يزيد عن 200 مليون مسيحي يعيشون في بلدان يعانون فيها لمجرد أنهم مسيحيون فحسب، لكن هنالك أيضاً ملايين أخرى من البشر من أديان أخرى يشاركونهم معاناتهم.

والسؤال المطروح هو: لماذا؟ غير أن الجواب ليس سهلاً. إذ تختلف هذه البلدان كلها التي يواجه أفراد فيها اضطهاداً دينياً بعضها عن بعض بشكل كبير في مناظيرها الاجتماعية والدينية والسياسية.

فعلى سبيل المثال، فإن الصين التي يواجه فيها المسلمون والمسيحيون وجماعات دينية مختلفة كثيرة، يواجهون قيوداً، هي دولة ملحدة رسمياً تُمزج السلطوية مع بعض القيم التقليدية وهيكل وطني قوي موروثة من الحقبة الشيوعية. وفي الصين، ليس المسيحيون والمجتمعات الدينية الأخرى فقط هم الذين يمثلون تهديداً محتملاً لوحدة البلد وقوة النظام ذي الحزب الواحد، بل أيضاً كل حركات المجتمع المدني civil society movement الكبيرة. وهكذا فإن النظام الصيني يظل على وفاق مع المسيحية ما دامت الدولة تسيطر على تعيين الأساقفة أو تراقب العظات. وفي واقع الأمر، فإن الصين تنشر رسمياً نسخاً من الكتاب المقدس أكثر من أي بلد آخر في العالم. وما لا يحبّه النظام الصيني وجود كنائس تحت الأرض تلتقي في البيوت حيث لا يقدّر النظام على سيطرتها. ويزيد عدد المسيحيين في الصين اليوم حسب التقديرات الحديثة عن 70 مليون شخص.

وهذه السياسة السلطوية للدولة والرغبة في السيطرة على المجتمع المدني هو نفس السبب الذي من أجله تواجه المجموعات الدينية بكل أنواعها، إضافة إلى أيّة منظمة مجتمع مدني، عبر روسيا وآسيا الوسطى،

تواجه تلك المنظمات قيوداً قاسيةً واضطهاداً شديداً. فالدولة ترى في أية مجموعة ضخمة منظمة تهديداً محتملاً لقبضتها الضعيفة على البلد.

وبالمفارقة، نرى في بورما تلك الدولة المتعددة الأعراق والتي يحكمها جيشٌ قويٌ مبنيٌّ على مجموعة عرقيةٍ معيّنة، نراها تسعى إلى السيطرة على الآخرين وإذابتهم فيها. وهكذا تعاني مجموعاتٌ شعوبيةٌ مسيحيةٌ ومسلمةٌ معاً، لا بسبب إيمانها فحسب، بل أيضاً لأن دينهم جزءٌ من منظومة عرقية لها لغة وأصول متميزة حتى إن الدولة ترى فيها تهديداً.

إن واقع هذه الأطر السياسية والاجتماعية الشمولية التي تسفر عن اضطهادٍ دينيٍّ يُرى في مسألة التحول الديني أيضاً. وإنها حقيقة أن الشريعة الإسلامية التقليدية تطالب بالموت عقاباً لذكرٍ يتحول من الإسلام إلى دين آخر بعد إتاحة فرصة له للتوبة. غير أن الواقع هو أن عدداً قليلاً من البلدان الإسلامية تلتزم بأحكام الشريعة القاسية هذه، حيث يختلف التعامل مع المتحولين إلى دين آخر عبر العالم الإسلامي.

فعلى سبيل المثال، يعاني المتحولون من الإسلام إلى دين آخر في إيران معاناةً هائلةً. ويعودُ هذا في المقام الأول إلى أن هذا البلد أعلن نفسه ثيوقراطياً، ويتخذ من الفقه الإسلامي التقليدي دستوراً. وبما أنه نظامٌ ثيوقراطيٌّ – سياسيٌ يوحدُ القومية الفارسية بالذهب الشيعي، يصبحُ الانتماء الديني مسألةً مهمةً. وهكذا في إيران، إذا كنت بين واحدة من المجموعات الدينية المحمية بالدستور، مثل الكنائس المسيحية التاريخية واليهود، يمكن أن تبقى بمنأى عن الاضطهاد، ما دمت تخضع للمقاييس الصارمة الموضوعة للأقليات.

لكن إذا كنت على سبيل المثال، مسلماً سنياً أو حتى لاهوتياً شيعياً تتحدى معتقدات النظام، فإنك ستواجهُ محاكماتٍ واضطهاداتٍ. وعلى وجهٍ خاصٍّ، تتعرض مجموعاتٌ لاضطهاداً خطيراً، وهما البهائيون والمؤمنون من خلفيةٍ إسلاميةٍ. إذ يُنظرُ إليهم على أنهم مرتدون، وهما يتلقيان المعاملة نفسها. إذ يُنظرُ إلى البهائيين كهراطقة وحلفاء لإسرائيل، بينما ينظرُ إلى المسلمين الذي تحولوا إلى الإيمان المسيحي على أنهم خانوا إيران والإسلام، وبالتالي هم حلفاء للولايات المتحدة والغرب.

وبما أن لسياسة إيران ومجتمعها وجهاً دينياً قوياً، فربما نميلُ إلى النظر إلى السبب الجذري لمعاملة المسيحيين من خلفيةٍ إسلاميةٍ على أنها مسألة متعلقةً بالشريعة الإسلامية فحسب. لكن تعقيد المسألة يتضح لدى مقارنة إيران مع تركيا. ففي تركيا، واجه المتحولون إلى الإيمان المسيحي معاملةً قاسيةً، ونُظر إليهم كتهديدٍ قوميٍّ، وكانوا يراقبون من الدولة عن قرب. كانوا ضحايا للغوغاء والهجمات المنظمة. غير أنه ولا واحدة من المجموعات التي تهاجم المسيحيين في تركيا، وليس سبب تركيز الدولة التركية عليهم، يعود إلى التشدد الإسلامي. بل على العكس فإن المسلمين المتدينين واجهوا حتى وقتٍ حديثٍ جداً قيوداً قاسيةً فرضتها الدولة العلمانية.

لا يوجد في القانون التركي أحكامٌ مرتكزةٌ على الشريعة الإسلامية، بل إنه مبنيٌّ على القانون السويسري. مفتاح فهم سبب قسوة ردود الفعل تجاه التحول، ومحاولة الحد من الإسلام في ذلك البلد، يكمن في هوية الأشخاص الذين يهاجمون الأقليات الدينية، أي في المجموعات القومية. فقد أسست الدولة التركية على رؤية الدولة القوية، والتي طورت نوعاً معيّناً من الروح التركية بعد انهيار الإمبراطورية متعددة الأعراق. وفي إعادة بناء البلد بعد الحرب العالمية الأولى، فرض المؤسسون رؤيةً للغة واحدة، ودين واحد، وعرق واحد. وهكذا فإن أي شخص لا يشارك في هذه الأمور ينبغي إذابته أو إجباره على المغادرة. وفي واقع الأمر، عانت الأقليات العرقية مثل الأكراد والأقليات الدينية كالأرمن واليونانيين معاناةً كبيرةً بسبب

ذلك. وهكذا، عندما بدأ الأتراك الأصليون والذين لم يكونوا من الأقليات، بقبول المسيح، نُظِرَ إليهم على أنهم خانوا الأمة التركية، وتحذوا جذور المجتمع التركي.

يمكننا أن نرى نفس هذا المزيج من الدين والهوية القومية في الهند، حيث يجد الهندوس القوميون في التحول الديني للهندوس، وبشكل خاص الذين ينتمون إلى طبقة المنبوذين، الهادفين للهروب من النظام الطبقي التعسفي، يرون فيه تهديداً مباشراً لرؤيتهم إلى المجتمع الهندوسي، والبنى الاجتماعية لهذا المجتمع. ونحن نرى حالة موازية في سريلانكا حيث أسفرت الحركة القومية والبوذية عن هجمات على غير البوذيين. ولا سيما المسيحيين والمسلمين الذين ينظر إليهم على أنهم يحولون آخرين إلى معتقدهم ويعززونهم، وهم بهذا يتحدون القومية السنهالية. وهذه القومية العرقية – الدينية نفسها هي أيضاً السبب وراء تعرض التاميل، وهم هندوسيون، إلى انتهاكات فاضحة لحقوق الإنسان على يد الأغلبية البوذية.

غير أن الأسباب الكامنة وراء الاضطهاد الديني والعنف في بعض الأماكن قد تكون أكثر دنيوية من الاشتراك في رؤية قومية عليا أو ممارسة السلطوية القوية سعياً إلى الحفاظ على وحدة الدولة. إذ يكون السبب أحياناً مجرد مظالم شخصية ورغبة في المنفعة. فعلى سبيل المثال، في باكستان وأفغانستان، غالباً ما تُستخدم قوانين التجديف لتسوية حسابات شخصية أو تطلّعات ضد أعداء شخصيين، أو الاستيلاء على حقول غير المسلمين وأموالهم أو حتى الجيران المسلمين. وفي وسط نيجيريا حيث تقع هجمات شرسة على المسيحيين وتظهر القبائل المسيحية مستويات مساوية من العنف، فإن هذا يكون مدفوعاً بسياسات محلية للوصول إلى الموارد المحلية، كما تتمثل في الغزوات التي يشنها رجال قبيلة الهوسا – فولاني الذين يسرقون مواشي القرويين المسيحيين.

غير أنه لا يسع المرء أن ينكر أن الاضطهاد الديني لا يحدث أحياناً بسبب سياسات شاملة، بل بسبب أيديولوجيات واضحة. فمن الواضح أن هنالك مجموعات مدفوعة ومنظمات إرهابية حول العالم تجعل من محاربة "الكفار" وإخضاع المجموعات الدينية الأخرى جزءاً رئيسياً من أيديولوجيتها الدينية. وهكذا، فإن المسيحيين وغيرهم الذين يُنظر إليهم بصفته كفاراً يواجهون هجمات في أنحاء إفريقيا كلها والشرق الأوسط وآسيا بسبب مثل تلك المجموعات المتطرفة أيديولوجياً والمتعطشة للدم.

أسئلة للمراجعة والنقاش

اذكر ثلاثة أسباب رئيسية مذكورة في هذا القسم وراء اضطهاد أتباع بعض الديانات في بعض البلدان. قارن الآليات التي تدفع إلى التمييز والاضطهاد في إيران وتركيا. هل تعرضت شخصياً، أو زملاؤك أو أصحابك، أو مجتمع محلي تعرفه لوضع كانت فيه التطلّعات الشخصية والمصالح الأنانية سبباً في إشعال التفرقة؟ اشرح ظروف ذلك في فقرة واحدة، وشارك المجموعة حول نتيجة جوابك.

4. المنظور الكتابي حول الاضطهاد

"الصليب مجرد سبب واحد من أسباب كثيرة أشعلت الاضطهاد في العهد الجديد."

عندما نتأمل أسباب الاضطهاد الذي يتعرض له المسيحيون في إطار ما سبق أن تناولناه حتى الآن، تبرز صورة معقدة مشابهة.

من الواضح أن هنالك مستوى من الاضطهاد نواجهه لا يمكن أن يفسر بأي شيء آخر غير حقيقة أننا نؤمن بيسوع المسيح ونتبعه. فقد وعدنا بأننا، كما اضهد هو نفسه، سنضطهد نحن أيضاً وأن الصليب في نهاية المطاف يُعادي قيم العالم. فهذا أمر لا يتطرق إليه شك. إنه اضطهاد مبني على الصليب وأنه يواصل عمل المسيح كجزء من دعوتنا لاتباعه ولنأتي بحياته وإنجيله إلى العالم. ولهذا، يوجد مستوى من الاضطهاد سنواجهه دائماً في العالم ولا يوجد ما يمكن أن نفعله حيال ذلك.

غير أنه ما هو واضح أيضاً عندما نتأمل ما يحدث في العالم للمجموعات الدينية، إضافة إلى المسيحيين والاضطهاد الديني واسع المدى، أن إيماننا يمثل أحياناً سبباً غير مباشر أو مجرد واحد من الأسباب وراء تعرّضنا للاضطهاد.

من الواضح أحياناً أن المسيحيين يُضطهدون في أنحاء العالم كلّ بسبب المستوى الأعلى للعلاقات الدولية، وهو أمر لا علاقة له بالإيمان المسيحي أو الكنيسة. غير أن المجموعات الوطنية تنظر إلى المسيحيين كأجانب أو حلفاء أجنيين وتهاجمنا. لكن ربما لا ندرك أن رغبتنا في مشاركة إيماننا وقيادة الآخرين إلى المسيح يلمس أحياناً جروحاً عميقة أو مخاوف أو سياسة في بلد ومجتمع ما.

وفي واقع الأمر، نرى هذه الأسباب والديناميكيات كلّها التي تلعب دوراً وراء الاضطهاد مُمثّلة في الكتاب المقدس.

المثل الأول: أعمال الرسل 14: 19-8

نرى في هذا النص وصول بولس وبرنابا إلى لسترة للكراسة بالإنجيل. رأى بولس رجلاً مشلولاً، فأجرى معجزة شفاء له، فتعجب الجمع لما رأوه، وطاروا فرحاً، لكن لم يكن هذا هو نوع رد الفعل الذي كان يمكن أن يتقبله بولس وبرنابا. أعلن أهل لسترة بلغتهم المحلية أن بولس وبرنابا إلهان يونانيان جاءا ليكونا بينهم. وفي واقع الأمر، هم كاهن المعبد الوثني بتقديم ذبيحة حيوانية إكراماً لهما كإلهين. وعندما أدركا ما كان يحدث، مزقاً ثوبيهما استنكاراً لهذا التعبير عن التجديف، وحاولا أن يمنعا الجمع من تقديم ذبائح حيوانية لهما، غير أن مجموعة من اليهود أثاروا فتنة وقلبوا الجمع على بولس وبرنابا. وسرعان ما أصبحا ضحيتين لعنف الغوغاء، ولم يتركوهما وشأنهما إلا عندما ظن المهاجمون أنهما ماتا.

إن ما نراه هنا ظاهرة إنسانية معقدة، إذ أثار بولس وبرنابا من دون معرفتهما سوء فهم كاملاً لبشارة الإنجيل، ووجدوا نفسيهما وسط حشدٍ غير عقلانيٍّ ومحرضين يهاجمونهما. فأهل لسترة قرأوا من خلال عدسات ثقافتهم، مشهداً مختلفاً تماماً عما قصد الرسولان أن يوصلاه.

ونحن نرى أنماطاً متشابهة اليوم أيضاً، حيث يتعرّض المسيحيون في أماكن متنوعة للهجوم أو الاضطهاد بسبب كراتهم. فالمسيحيون يحاولون أن يكرزوا بالخلاص عن طيبة قلبٍ وبنية خالصة، غير أن الأشخاص المحليين يقرؤون ما يحدث على نحوٍ مختلفٍ تماماً بسبب ثقافتهم الخاصة. وغالباً ما يبرز محرضون يقلبون الحشد الغاضب ضدهم.

المثل الثاني: أعمال الرسل 19: 23-41

تخبرنا بداية أعمال الرسل 19 عن مدى فاعلية خدمة بولس في أفسس وكيف أن الناس آمنوا بالرب. لكننا نرى في الآية 23 أن حريفاً يعتاش من صناعة الاصنام جمع الحرفيين الآخرين ليخبرهم أن وجود بولس والمسيحية أمرٌ سيءٌ لتجارتهم ويصرف الناس عن عبادة الأوثان. فإذا تحول مزيدٌ من الأشخاص إلى المسيحية، فسيفقد الحرفيون بلا عمل. وأضافت قائلاً إنه إذا استمرت خدمة بولس في المدينة، فإن معبد أرطاميس الذي يجتذب الناس إلى مدينة أفسس سيتضرر ويفقد أهميته وهكذا لن تتضرر تجارتهم الشخصية فحسب، بل أيضاً اسم الإله الذي يعبدونه ومدينتهم ذات الشهرة العالمية.

وهكذا أمسكت الجموع الغاضبة التي أجمعتها هذا الكلام برفيقين من رفقاء بولس وبرنابا والذين تم جرهما إلى المسرح حيث تقام الاجتماعات العامة وجلسات الاستماع. ويخبرنا سفر أعمال الرسل أن الجموع كانت مرتبكة ومشوشة، إذ كان كل واحدٍ يقول شيئاً مختلفاً حول أمورٍ أخرى. لكن عندما أدركوا أن رفيقي بولس كانا يهوديين، بدأوا يطلقون هتافات وطنية حول إلههم ومدينتهم. ولم تهدأ الحشود إلا عندما قام كاتب المدينة بالتهديد باتخاذ إجراءات ضدهم، فأخلي سبيل المسيحيين.

نرى في هذه الرواية عوامل متعددة. إذ نرى محرضين قلقين على فقدان دخلهم المالي بسبب الأنشطة المسيحية، ساعين إلى وجود طريقة لإيقاف عمل المسيحيين. ومع أن صنّاع الأوثان يستخدمون الحجّة الاقتصادية فيما بينهم لحشد آخرين ضد المسيحيين، إلا أنهم يحتكمون إلى قومية الأفسسيين ونقاط الحساسية لديهم. فهم يهيجون الحشود بقولهم إن المسيحية ستضر بقيمتهم، وألتهتهم، وسمعة مدينتهم. فتبع ذلك جوٌ لاعقلانيٍّ من الغوغاء مشابه لما حدث في مدينة لسترة، غير عارفين أنهم غاضبون أو يطالبون بإيقاع عقوبة على أشخاص أبرياء، لكنهم يدركون بطريقة ما أن أمتهم على المحك. فلم يهدأوا إلا بتدخل السلطات. وفي واقع الأمر، قام مسيحيون حكماء آخرون بمنع بولس من الذهاب والتحدث أمام الحشد، لنلا يوجج حضوره مزيداً من التوتر. وهكذا حالت حكمة المسؤولين والأشخاص دون أن يتعرّض بولس إلى حادثة مينة.

ويُتهم المسيحيون أيضاً في أنحاء العالم كله اليوم بالتسبب في إحداث أضرار في شعوب أو بسمعة مجتمع ما، أو بمصالح سياسية واقتصادية لشعب معين أو مجموعات معينة. ونحن نرى أنماطاً مماثلة من المحرضين الذين يؤلّبون الجموع على المسيحيين عن عمد، قائلين إنهم عملاء لبلد معين ما أو إن لديهم نفوذاً ومالاً زائداً جداً، أو إن أهدافهم هي تحويل البلد والقضاء عليه. وعندما تدعم الدولة حكم القانون،

وعندما تقوم قوَّات الأمن بدورها على نحو سليم، فإن هذه التَّهم أو الضَّغائن ضدَّ المسيحيين لا تؤدي إلى العنف. غير أنه في لحظات الأزمات السياسيَّة أو التَّغيير السياسي، أو عندما لا تتدخل الحكومات، يجد المسيحيون أنفسهم أهدافاً لحملة غير عقلانيَّة.

أسئلة للمراجعة والنقاش

اشرِّح بإيجاز كيف أن الصليب يمكن أن يصبح سبباً وراء الاضطهاد الذي يتعرض له المؤمنون بالمسيح في العالم، حسب رأيك.
اذكر بإيجاز الأسباب المختلفة التي شكلت جذر الاضطهاد الذي تعرَّض له بولس في مدينة أفسس.
هل تعتمد نتائج الاضطهاد على الدوافع الكامنة وراءه، في رأيك؟ دَعِّم إجابتك بشواهد كتابيَّة.

5. الاضطهاد: واقع تاريخي

اختبر المسيح وكنيستُه اضطهاداً منذ الأيام الأولى.

مع أنه صحيح أن الاضطهاد الدينيَّ أخذ في الازدياد في العالم، وأنَّ التطورات العالميَّة تخلق أشكالاً جديدةً من انتهاكات حقوق الإنسان، إلا أن المسيحيين واجهوا على الدوام الاضطهاد منذ بداية خدمة يسوع.

تعرَّض المسيح نفسه للطرد من عدَّة مدن، وواجه التمييز والافتراءات، ووجد نفسه في مواقف كثيرة محفوفة بالخطر، وفي نهاية المطاف، غُذِبَ حتى الموت على أيدي جنود رومانٍ بناءً على أمر السلطات التي تجنبت خلق أزمة حادة جداً في المدينة، فاختارت التضحية بإنسان بريء.

وواجه أتباع المسيح ظروفاً صعبةً انطوت على تحدياتٍ مشابهة. ففي واقع الأمر، قُتِلَ أحد عشر رسولاً من رسول المسيح من أصل اثني عشر رسولاً من أجل إيمانهم. ويوحنا وحده هو الذي مات ميتةً طبيعيَّة. ويقول التقليد إن بطرس، الذي سبق له أن أنكر المسيح ثلاث مرَّات خوفاً واستردَّه يسوع إلى الإيمان، صُلِبَ رأساً على عقب.

وأما بولس الذي كانت خدمته أساسيةً جداً في نقل بشارَةِ الإنجيل وراء حدود اليهودية، والذي لعبت رسائله دوراً رئيسياً في تطوير العقيدة المسيحيَّة، فقد أُعِدِمَ في نهاية الأمر في مدينة روما.

وفي واقع الأمر، واجه المسيحيون على مدى القرون الثلاثة من تأسيس الكنيسة، حتى اهتداء الإمبراطور قسطنطين إلى الإيمان المسيحي، اضطهاداتٍ من السلطات ومن العامة على مدى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ومنطقة البحر الأبيض المتوسط. إذ سبق أن فرضت الإمبراطورية الرومانيَّة حظراً على الإيمان المسيحي، وأجبرت الآلاف إمَّا على التخلّي عن إيمانهم بالمسيح، وإمَّا على مواجهة الموت على أيدي جلاّدين أو بالنار، أو بالتعذيب المطول حتى يتبرأوا من إيمانهم.

وحتى عندما أصبحت المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية، وفي ممالك لاحقة في أوروبا ومنطقة الشرق الأوسط، صارت الكنائس قوية وغنية، واجه كثيرون اضطهاداً. وفي واقع الأمر، عمدت السلطات الكنسية في أوروبا غالباً إلى منع الحرية الدينية، حتى إنها عذبت وقتلت مسيحيين آخرين لأنهم تبنوا عقائد مختلفة.

عندما أصبحت المسيحية أداة سياسة في أيدي حكام أوروبا، رأينا حملات عسكرية تُشن باسم المسيح من أجل أهداف ووأغراض لا علاقة لها بالمسيح. فعلى سبيل المثال، وفي أثناء الحملات الصليبية نفسها، قام المحاربون عديمي التقوى، القادمون من أوروبا بمهاجمة المسيحيين في آسيا الصغرى والشرق الأوسط واضطهدوهم.

شهدت أوروبا عقوداً من الحروب بين الممالك الصغيرة المكونة من الموالين السياسيين المتلفين حول حركة الإصلاح البروتستانتي من ناحية، والحكام الكاثوليك بردات فعلهم القاسية لأولئك من ناحية أخرى، حتي تمكنت القارة للتوصل في نهاية الأمر إلى سلام مبنى على الحرية الدينية للبروتستانت والكاثوليك.

كانت هنالك منذ بدايات القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر مجتمعات مسيحية كبيرة في أنحاء المنطقة الوسطى والجنوبية والشرقية من الشرق الأقصى من آسيا. وتم إجبار كل واحد منها إما على التحول إلى دين آخر أو طرده. فكانت اليابان ذات يوم وطناً لمئات الآلاف من المسيحيين. فقبل وقت طويل من بداية عمل الحركات الإرسالية الإنجيلية، نظر المرسلون الكاثوليك إلى اليابان التي ستصبح أمّة مسيحية على أنها الشمس المشرقة للشرق. لكن عندما قرر الإمبراطور أن يوقف انتشار المسيحية، هلك المسيحيون كلهم تقريباً. وبقي عدد من المسيحيين مؤمنين سرّاً مدة قرن تقريباً إلى أن شهدت اليابان مزيداً من الحرية الدينية بعد الحرب العالمية الثانية. وعندما افتتحت كنيسة كاثوليكية في اليابان بعد الحرب، برز مئات المؤمنين السريين إلى العلن.

شهد القرن العشرون اضطهاداً وحشياً للمسيحيين في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، إضافة إلى بلدان الكتلة السوفيتية التي حظرت الأديان كلها. ومن المحزن جداً أن نرى اليوم كيف أن شمال إفريقيا الذي كان ذات يوم مركزاً مسيحياً كبيراً أنجب عمالقةً روحيين مثل القديس أوغسطين لم يتبق فيه إلا عدد قليل من المسيحيين. وفي تركيا، وفي بداية القرن العشرين، كان ما زال هنالك عدة ملايين من المسيحيين. لكن بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية، وجد المسيحيون الأرمن أنفسهم يواجهون مذابح فأجبروا على النزوح. أرسل المسيحيون اليونانيون (الأورثوذكس) إلى اليونان بأعداد كبيرة كجزء من اتفاقية بين تركيا واليونان لمبادلة السكان المسيحيين بالسكان المسلمين.

وهكذا، توجد صلة مباشرة منذ زمن المسيح بمعاناة المؤمنين في العراق وسورية ومصر وإيران اليوم. وهذه هي الحقيقة التي سبق أن نبهنا إليها المسيح. فإن كانوا قد اضطهدوه، فمن المؤكد أنهم سيضطهدونا نحن أيضاً. وكما كان الحال أثناء حياة المسيح على الأرض، فإننا نرى كيف أن وجود المسيحيين يثير ردود فعل قوية بسبب التعاليم التي يتبعونها ونوع الحياة التي يعيشونها، وكيف أن المجموعات الدينية الأخرى والسياسيين أحياناً يلعبون بحياتنا بقوتهم ونفوذهم، وكيف أنه ينقلب علينا حتى جيراننا وعائلتنا في لحظات هستيرية وأوقات الفوضى الاجتماعية.

أسئلة للمراجعة والنقاش

ف التمييز أو الاضطهاد في بلدك بالمقارنة مع ما سبق أن ذكرناه في هذا القسم حول الواقع التاريخي للاضطهاد. أي عون لاهوتي وعملي يمكننا أن نستمد من حقيقة أن الاضطهاد كان على الدوام واقعاً تاريخياً؟ اقرأ 1 بطرس 5: 8-9.

6. خاتمة

رأينا في هذا الدرس أن القانون الدولي يحمي حقوق الفرد في الاعتقاد الحر والتعبير عن معتقده. ويشمل هذا الأمر تغيير دين المرء، وتعليم إيمانه الآخرين، وتأليف مواد متعلقة بمعتقد ونشرها والوعظ بها بحرية.

غير أننا رأينا أنه رغم التزام الحكومات بالتمسك بهذه المقاييس، إلا أن الأمر المقلق هو أن معظم البلدان يسعى إلى تقييد الحرية الدينية، وتلجأ هذه البلدان في بعض الحالات إما إلى اضطهاد فعلي مباشر لأشخاص ينتمون إلى مجموعات دينية تختلف عن دياناتها الرسمية، وإما إلى الوقوف موقف المتفرج عندما تستهدف الغوغاء، ومجموعات دينية أخرى، الأقليات.

ورأينا أن هذا يؤثر في الأديان كلها، بما في ذلك المسيحية واليهودية والبهاية. وتتميز خبرات هذه الأديان بتشابه السمات، الأمر الذي يسلط الضوء على السياقات الاجتماعية والسياسية التي يحدث فيها الاضطهاد الديني.

عندما تأملنا في القوى الدافعة للاضطهاد وأسبابه، رأينا سبباً مزدوجاً: روحياً وزمناً. إذ رأينا أن هنالك أسباباً روحية وراء الاضطهاد، حيث سبق أن أخبرنا المسيح بذلك، وأنها سبب غضب الصليب شأنا في ذلك شأنه. ورأينا أيضاً أن هنالك أسباباً زمنية متعلقة بالسياسة والاقتصاد والفوضى الاجتماعية، وهي كلها تظهر نفسها في روايات الاضطهاد الموجودة الكتاب المقدس، وعلى مدى التاريخ.

يساعدنا مثل هذا التأمل في الاضطهاد على تطوير فكر لاهوتي أكثر نضجاً حول الاضطهاد، إضافة إلى أفكار متبصرة عملية حول أفضل طريقة نخدم بها كنائسنا ونجسد إيماننا أمام عامة الناس كقادة مسيحيين.

حالة دراسية كتابية: بولس في كورنثوس

اقرأ أعمال الرسل 18: 1-16 وأجب على الأسئلة التالية في ضوء ما تعلمته في هذا الدرس.

أ. اشرح الظروف التي أدت إلى مثول بولس أمام الوالي في أخائية.

ب. ما هو السبب الصريح الذي عبّر عنه خصوم بولس؟

ج. لو كان لك أن تحكم على الوالي حسب مقاييس حقوق الإنسان المعاصرة، فكيف يمكن أن يبدو منصفاً؟

هـ. ماذا كانت النتائج لهذه الموجة من الاضطهاد المحتمل؟

امتحان قصير حول الدرس الأول

1. ما هي بعض الأمثلة لما يتضمنه الحق في الحرية الدينية؟
2. ينصُّ البند الثامن عشر للإعلان العالمي لحقوق الإنسان على حرية المرء في أن
أ. يؤمن كما يشاء
ب. يختار دينه الخاص
ج. يُظهر معتقداته
د. أن يعلم أولاده معتقداته
و. "أ" و "ب" فقط
ز. "ب" و "ج" فقط
هـ. كل ما سبق
3. ما هو الفرق القانوني بين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والميثاق (العهد) الدولي حول الحقوق المدنية والسياسية؟
4. في حين أن البند الثامن عشر أكدَّ الحقَّ في الحرية الدينية والمعتقدات، فإنه يعلن أيضاً التزام معظم البلدان في حماية هذه الحرية. فما هي الإجراءات التي يمكن اتخاذها لوضع الدول الموقعة على هذه المعاهدة موضع المساءلة في حالة إهمالها لممارسة هذا البند؟
5. وفقاً للبند الثامن عشر، أية قيود على الحريات الدينية سُمح للحكومات بها في الظروف الاستثنائية؟ وكيف تميل بعض البلدان إلى إساءة تطبيق هذا الاستثناء؟
6. ما هما الشكلاَنِ اللذان يتخذهما الاضطهاد الديني؟
7. كيف يمكن أن تختلف الأسباب وراء الاضطهاد الديني من بلد إلى آخر؟ أعطِ ثلاثة أمثلة مختلفة.
8. لماذا تنتظر بعض البلدان إلى الحرية الدينية كتهديد قومي وأمني؟
9. هل تعتقد أنه يمكن للمسيحيين أنفسهم أن يكونوا سبباً في بعض الاضطهاد الذي يواجهونه؟ اشرح إجابتك.
10. أية رسالة تحاول أن توصلها 1 بطرس 3: 13-17 للمسيحيين الذين ربما يتعرضون للاضطهاد (انظر أيضاً 1 بطرس: 2: 11-21؛ 4: 14-16).
11. ما هي بعض أمثلة لأحداث الاضطهاد الديني في العهد الجديد؟ أعطِ مثلين.
12. اذكر ثلاث موجات رئيسية للاضطهاد ضد المسيحيين في القرن العشرين؟ اشرح ظروفها ومحصلاتها؟
13. كيف تُسهم حقيقة أن التفرقة والاضطهاد يمسان الخلفيات الدينية كلها في استيعابك للقوى الكامنة وراء مثل هذا الشر؟ اشرح إجابتك بإيجاز في فقرة واحدة.
14. إلى أي مدى تعتقد أن إعلانات حقوق الإنسان ومعاهداتها تساعد في تسهيل انتشار الإنجيل في بلدان تضع قيوداً على الحرية الدينية أو تشهد أعمالاً عدائية اجتماعية. اشرح إجابتك.
15. في ضوء قراءتك للقراءة الإضافية لضياء ميرال، اذكر نوع تحديات الاضطهاد التي يواجهها المسيحيون في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.
16. ما هي بعض المحصلات المحتملة والمتوقعة للاضطهاد غير المكبوح الذي يؤكدُه زيا ميرال في خاتمة مقالته؟

Books

Thames, Knox & Seiple, Chris (2009) International Religious Freedom Advocacy: a Guide to Organizations, Law and NGOs, Baylor University Press

Marshall, Paul (2007) Religious Freedom in the World. Rowan & Littlefield Publishers.

Penner, Glenn M (2004) In the Shadow of the Cross: a Biblical Theology of Persecution & Discipleship. Living Sacrifice Books

Cavanaugh, William T (1998) Torture and Eucharist: Theology, Politics and the Body of Christ. Wiley-Blackwell Publishers

Endo, Shusaku, (1980) Silence. Taplinger Publishing Company

Reports

Meral, Ziya (2008) No Place to Call Home: Experiences of Apostates from Islam and Failures of the International Community. Christian Solidarity

للاطلاع على التقارير السنوية حول الحرية الدينية حول العالم، انظر الروابط التالية على مواقع وزارة الخارجية الأمريكية واللجنة الحكومية الأمريكية للحرية الدينية الدولية:

US State Department: <http://www.state.gov/j/drl/rls/irf/>

USCIRF: <http://uscirf.gov/reports-and-briefs/annual-report.html>

Worldwide Journals

International Journal for Religious Freedom, World Evangelical Alliance

Review of Faith and International Affairs, Institute of Global Engagement